

السيد محمد رضا سلمان

إشراقات فاطمية

مكتبة الألف ليلة وليلة





المجموعة الثانية

إشراقات فاطمية

شعر

السيد محمد رضا السلطان

أبو عدنان

قال النبي الأكرم ﷺ:

﴿ فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني ﴾

(صحيح البخاري ومسلم)

الإهداء

لمن قرأتُ فيه الحبَّ الفاطميَّ ...

فتجسَّدَ الحبُّ عطاءً ...

لمن تأمَّلتُ فيه الكثير ...

فكان العطاءُ أكثرَ من ذلك ...

أهدي هذه القصائد

أبو عدنان

مقدمة خاطفة

يقول الكاتب والباحث الإسلامي الكبير محمود

شلبي في « كتابه حياة فاطمة عليها السلام » :

أيُّ سماءٍ تُظلّني ...

وأيُّ أرضٍ تُقلّني ...

إن لم أكتب عنها ما هي أهلُه .

فكيف وأنا لا أستطيع ... بل مستحيل أن أستطيع

... أن أكتب عن (بنت رسول الله صلى الله عليه وآله) ما ينبغي أن

يكتب عنها عليها السلام؟!

وكيف أستطيع أن أكتب عن التي :

أبوها ... النبيُّ!!!

وزوجها ... عليُّ!!!

وهي أمّ ... الحسين؟!

اجتمع لها من الشرف ما لم ... ولن يجتمع لأحد
من النساء .. وكيف أستطيع أن أقرب من قدسها...
تلك التي كانت أحبُّ شيءٍ إلى رسول الله صلى الله
تعالى عليه وعلى أهله وسلم؟!!

إذا كان هذا هو حال ناثر بيده أن يتلاعب بالأحرف
والكلمات ، فكيف بي وأنا الشويعر الصغير الذي بعد
لم أمسك بأسباب الأدب وجوامع الكلم وصفاء
العروج؟!!

لكن شفيعي الأول والأخير في ذلك هو إن كان ثمة
عذرٌ للشويعر الصغير فما عسى أن يكون اعتذاري من
أمي الصديقة الطاهرة، وأنا الذي كتبت فيمن لا يعدلُ
شِسَعَ نعلها؟!!

لكن دعائي أن يكون هذا الجهد المتواضع مقبولاً
عند الزهراء المرضية ﷺ ..

اللهم! اجعله أحبّ ما تحبّ الزهراء أن يكتب
عنها ﷺ ..

اللهم! إني أستأذنك ... فأذن لي ... ظلمت نفسي
... فاغفر لي ... وسدّدني.

أبو عدنان

السيد محمد رضا السلطان

ربيع الأول ١٤٢٢ هـ

المقدمة

بقلم : سماحة آية الله
السيد محمد علي السلطان (حفظه الله)
أستاذ البحث الخارج
في حوزة الأحساء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد
وآله الطيبين الطاهرين :

قال تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ
الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ .

صدق الله العلي العظيم

البيان: هو الكشف عن الشيء، والمراد به: الكلام الكاشف عما في الضمير؛ هكذا قاله السيد الطباطبائي في «الميزان»، ويمكن أن يعبر عنه بإبراز الشيء أو إظهار الشيء، والمعنى واحد في الجميع.

والوسيلة المعتمدة للبيان عادةً أو في الأعم الأغلب هو اللفظ، وقد يكون البيان بغير اللفظ؛ كالإشارة المفهّمة وغيرها إذا دعت الحاجة إلى ذلك، واللفظ الذي يُعتمد للبيان قد يكون نثراً وقد يكون شعراً، وكلّما كانت الكلمات في البيان أوضح وأقوى في إبراز المعنى - مع قلّتها ووجازتها - كان البيان بذلك أوضح وأبلغ وأشد مقبولية في نفس السامع، ولأجل ذلك يكون التنافس والتفاخر في البيان بقوة فصاحته وبلاغته، وقد اشتهر كلام العرب بالفصاحة والبلاغة فأنزل الله تعالى القرآن على لغتهم فكان معجزةً في البيان، حيث جاء في

القمة من الفصاحة والبلاغة لدرجة أعجزتهم عن وصفه، فقالوا: إنه سحر، وهو اعتراف ضمني منهم بعدم قدرتهم على مجاراته والإتيان بمثله:

﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.

هذا كله في النثر، ويجري هذا الكلام في الشعر أيضاً حيث يقع محلاً للتنافس والمفاخرة ويكون المدار في ذلك على قوة الفصاحة والبلاغة فيه، وكلما كان الشعر أفصح وأبلغ كان أشد مقبولية وأشد وقعاً في النفس، فإذا كان في مقام المدح أو الرثاء، كان له تأثيره ووقعه الشديد على نفس السامع.

وكما اشتهر العرب بالبلاغة والفصاحة في الكلام، كذلك اشتهر العرب بالبلاغة والفصاحة في الشعر،

ووقع عندهم موقع التنافس والمفاخرة، ووقفوا في منافستهم ومفاخرتهم عند القصائد السبع أو العشر التي هي المعلقات حيث علقت في الكعبة اعتزازاً وافتخاراً بفصاحتها وبلاغتها، ولكن الشعر لم يقف عند هذه القصائد ولا عند عصرها، بل انتشر على مختلف العصور، ومرّت عليه أدوار وأدوار زادت في روعته وجماله، وكان له في انتشاره أقطار وعواصم اشتهر فيها؛ كمصر ولبنان والعراق، ومن المدن بغداد والنجف وكثير من البلدان العربية، وقد ظهر على ساحته رجال اشتهروا به في الزمان الماضي والحاضر؛ ففي بغداد اشتهر الأزري، وأعطته قصيدته التي سميت بالأزرية سمعةً كبيرة نالها بجدارة فاستمع إليه في بعض مقاطعها حين يصف بأس أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في يوم الخندق حين برز لعمر بن ود العامري حيث يقول:

فاتنضى مشرفيه فتلقى ساق عمرو بضربة فبراها
وإلى الحشر رنة السيف منه يملأ الخافقين رجع صداها
ويصفه يوم خيبر فيقول:

فمضى يطلب الصفوف فولت منه علماً بأنه أمضاها
فبرى مرحباً بكف اقتدار أقوياء الأقدار من ضعفها
ويأتي بعده شعراء وشعراء كالجواهري فيسمعنا
قصيدةً في الحسين عليه السلام تهتز لها النفوس ، مطلعها :

فداءً لمثواك من مضجع تنور بالأبلج الأروع
بأعقب من نفحات الجنان روحاً ومن مسكها أضوع
وفي النجف يقوى الشعر ويرتفع مسواه ويبرز على
ساحته فرسان لهم شهرتهم ومحلهم الرفيع في الأدب نعد
منهم: الشيخ عبد المنعم الفرطوسي ، والسيد محمد
جمال الدين الهاشمي ، والسيد حسين بحر العلوم ،
والشيخ أحمد الوائلي ، ويأتي في الطليعة منهم السيد

مصطفى جمال الدين صاحب القصيدة المشهورة التي ألقاها في المهرجان الكبير الذي أقيم في لندن لذكرى الغدير، إذ يقول في مطلعها:

ظماً الشعر أم جفاك الشعورُ

كيف يظما من فيه يجري «الغدير»

وقد اشتهرت هذه القصيدة كثيراً أو استهوت

النفوس بروعة بيانها، وسحر خطابها وصورها.

ولم يقف الشعر على النجف بل تبعتها مدنٌ

أخرى، و«الأحساء» اليوم تُعدُّ في الطليعة من تلك المدن

التي اشتهرت بالشعر والشعراء، ولها تاريخها الحافل في

هذا المجال قديماً وحديثاً، وقد برز فيها اليوم كوكبة من

فرسان هذا الميدان فرفعوا «للأحساء» بشعرهم صورةً

مشرفةً بوائته محلاً بارزاً أهلتته لدخول ميدان المنافسة مع

الحواضر الأدبية الأخرى، ولا أرى بي حاجةً إلى وضع

قائمة بأسماء من اشتهروا بالشعر في هذا البلد ،
 فالحفلات التي تقام لذكريات أهل البيت 'كفيلة'
 باستعراضهم واحداً بعد واحد ، ولكنني سوف أعطي
 شاهدَ صدقٍ لما أقول بذكر واحد منهم ، حيث يُعد اليوم
 في الطليعة من صفوفهم ، ذلك هو العلامة السيد محمد
 رضا السلطان الذي هو نفس الوقت من رجال العلم
 المرموقين ، فهو ذو شخصية علمية بارزة لها مكانتها في
 الحوزة ، غير إنَّ السيد رغم كونه يومها يشغل مكانه
 اللائق به بين أفراد مقولته ورجال صنفه لم يرض أن
 يكون محصوراً بين جدران المدرسة وحواجز الحوزة
 العلمية ، بل أفلت منها وخرج من طوقها المدار عليه ،
 وأخذ طريقه إلى مستقى الأدب وينايع الفنِّ هناك ،
 حيث التحق بمقولة الشعراء وأخذ مكانه بين صفوفهم
 وقد عركته السنون التي عاشها وصقلته الممارسة الدائبة

للنظم فأخرجته في ثوبه الجديد، فهو ذو حسٍ مرهفٍ
 وقريحةٍ وقادةٍ أطارت نفسه مع الخيال حيث قادها إلى
 مراتب الفن، واليوم نراه وقد عاد وهو يحمل في حقيقته
 أنموذجاً حياً من روائع ذلك الفن وهو يعدّ من ثمار تلك
 الرحلة المباركة.

فها هي روائعه الاثني عشر التي أنشدها وقدمها
 تباعاً في ذكرى ميلاد أمّه السيّدة الزهراء عليها السلام بالبر، وهي
 المرأة المنفردة في عالم النساء رفعةً وجلالةً وشأناً يحار في
 وصفه، وكيف لا؟! وهي التي يرضى الله لرضاها
 ويغضب لغضبها.

نعم، هاهو يعرض قصائده الاثني عشر تلك التي
 نصّدها كعقد اللؤلؤ، وقد جمعها متعمداً في «ديوان»
 سمّاه (إشراقات فاطمية) وهاهو بين أيدينا فحريّ بنا أن
 نبارك له فيه جهده ونهنيه بما قدّم.

أجل :

فالتهاني تهدي إليك أبا عد

نان أحرزت بالعطا رضا البتولِ

ووفيتَ الحقَّ الذي كان حتماً

في رقاب الوري لآل الرسولِ

فلآل قدمتها هي رمز الحـ

بّ في عالم الوجود الأصيلِ

فلتعش هائئاً قريباً بماقـ

دّمتَ أحرزت للشوابِ الجزيلِ

السيد محمد علي السيد هاشم العلي السلطان

الإشراقة الأولى:

ترنيمة العشق الفاطمي

وهي واحدة من القصائد المسافرة إلى فضاء
العالم الأرحب...
فضاء الحب والإشراق الفاطمي، عبر نقاط
التوقف الإلزامي تحملت الكثير من الأسباب
كأن أفك أسرها...
فكان لي ذلك.

الثامن من ربيع الأول ١٤٢٢هـ

« من البسيط »

ظننتُ أن رسولَ الشعرِ غادرني
فصرتُ أرقبُ وعدَ الوحيِ مُحْتَسِبا
حتى إذا ما دجى ليلٌ وأرقني
أُفَيْتُ نفسي وحيداً حائراً تَعِبا
فَقَمْتُ بعدَ عَطاشٍ كادِ يَقتلني
أَلْمَمُ الحَرفَ والآهاتِ والنَّصِبا
ثمَّ انْحَدَرْتُ إلى عَينِ رَسْمَتُ بها
حُلْمُ الطُفولَةِ حيثُ الطُفلُ قَدْ لَعِبا
أَسْأَلُ المَاءَ عَن أَلْفاظِ فَهَتْ بها
فما أَجابَتْ سِوَى الأَصْداءِ مَن نَدِبا
أقولُ: أينَ سَعادُ الحَبِّ هَلْ ضَجَرَتْ
أم غادرتُ موقِفاً بالدمعِ قَدْ كُتِبا

إنِّي أرى الدمعةَ الخجلاءَ أقرؤها
لونا غريباً من الإبداع قد شطبا
واليومَ أمستُ دموعَ العينِ في نسقٍ
كي ترسمَ الحبَّ كأساً يحملُ الحببا
ثمَّ ارتشفتُ حُبابَ الكأسِ من طربِ
تحيى به الروحُ إنَّ ليلَ الهوى طربا
أسامرُ اللَّيلَ أفراحاً به ابتشرتُ
كلُّ الملائكِ إذ هامتُ به عجبا
والجنُّ في الأرضِ أغراها بمولده
عطرٌ ذكيُّ أصابَ المرتعَ الخصببا
والفجرُ واللَّيلُ أشعارُ مرنمةٌ
والشمسُ من أجله كم تُرسلُ الشهبا



وقفتُ بين يديكَ اليومَ معتذراً
أرجوكَ عفواً يزيلُ الهمَّ والتعباً
فأنتَ خيرٌ لمن أعطى للتمسِّ
وأنتَ حصنٌ لمن وافاك محتجباً
وأنتَ أنتَ الذي يرجوه منقطعٌ
في كلِّ سائجةٍ دنيأً ومُنقلباً
أعطاك ربُّكَ خيراً لا نفاذَ لهُ
ورتبةً لم تُنلْ من قبلُ مكتسباً
عرجتَ صوبَ حمى الرحمنِ مبتهلاً
تؤكِّدُ البيعةَ الكبرى لمن رهبها
وخلفك المرتضى الكرارُ ملتمساً
عهداً قديماً حوى الألواحَ والكتبا

حيثُ استقرتْ به الآمالُ مُقتبساً
من نهج طه مناراً يخرقُ الحُجُبَا



يا مَنْ به أحمدُ المختارُ مبتهجُ
في قلب مَكَّة نورا يغسلُ الوصبا
شاطرتَ جندَ رسولِ الله وقفتهمُ

مذراح بالسيفِ يحو الظلمَ والكذبا
خيرُ الأنامِ بلا فصل يُقاد بهِ
والناسُ من حوله لم يُدركوا الطلِّبا

يكفيكُ صحبُ عليِّ الشَّانِ فيه ولا
إنَّ عدَّ بعضُ ولاةِ اليومِ واحتسبا
فهو العليُّ الذي نرجو النجاةَ بهِ

في ظلِّ جمعٍ أقلَّوا اللُّومَ والعُتبا



يَمَّتْ قَبْرُكَ يَا زَهْرَاءُ مُقْتَبَسًا
منك الهداية والآمال والأدبا!
فصرتُ أهفو ولي في الطَّهْر مدرسة
فاضتُ جوانبها كالبحر مُذْ وَهبا
روح القداسة قد ضاقت بنا مُقَلُّ
لما تواری زعيم الدين واحتجبا!
فالكادحون غداة الغيث جاد لهم
لم يكنزوا فضة يوماً ولا ذهباً
والراحلون إلى الفردوس أذهلهم
سبحٌ طويلٌ أصابوا بعده الرُّتبا
قد طلقوا الدنيا لم تحل الحياة لهم
في ظل قومٍ أشاعوا الرعب والصخباً

مذ تاهت الأرضُ فخراً في مظاهرها
عادت دماراً يجرُّ الويلَ والحرباً



يَمَّتْ قَبْرُكَ يَا زَهْرَاءُ أَلْتُمُهُ
والقلبُ جمرٌ كواه الوجدُ فالتهباً!

بنتَ النبيِّ ... فتاة الدين أسقطها
في الجُبِّ دُشٌّ تعاطى النقصَ والعطبا
تبدلتُ بتراثِ الآلِ ما عرضتُ

به السفاسفُ لونا يُشبهُ الجرباً
قد جردوها من الأخلاقِ في صلفٍ

وصيروا خدرها نهباً لمن نهباً
هذي الفتاة ... وسوقُ الليلِ يجمعها

بمنُ تشاءُ ... وربُّ البيتِ قد رغباً

مبرقعاتٌ من الترغيب يدفعها
نحو السفور حياءُ قلٍّ أو نَضْبَا
متى تعود فتاةُ الدينِ شامخةً؟!
الدينُ يُرشدُها نهجاً له طُلبَا
هذا تراثكِ وحشُ الغابِ تحرسُهُ
ما حالُ إرثِ رعاةِ الغربِ فانتُها؟!!



هديةُ الربِّ زهراءُ يجللُها
قلبٌ رحيمٌ وفكرٌ يكشفُ الشَّغْبَا
إشراقةُ المجدِ «زهراء» يحوطُ بها
عطرُ الرسالةِ دستوراً ومنجذبَا
فكلمةُ الحقِّ «زهراء» نظنُّ بها
إلا على مخلصٍ في اللهٍ قد رغبَا

لولا عليّ ... عليّ الشانِ كان لها
من ذا عسى أن يكونَ الزوج والنسبا؟
إنّ البتولَ مِنَ الرَّحْمَنِ أُحْيِيَةٌ
يحارُّ في حلِّها مَنْ أُلْهِمَ السَّيِّبَا
فكرٌ عظيمٌ وتدييرٌ له سَجَدَتْ
أريابُ فكرٍ أصابوا عندك العجبا
بوركتِ من أملٍ خرَّ الأنامُ له
والحقُّ في عرشه بالنور قد كَتَبَا...
إنّ الجِنانَ بِحُبِّ الآلِ نَفَتْحُهَا
ونغلقُ البابَ دونَ البعضِ إذ نَكَبَا

الإشراقة الثانية:

هَمَسَات مَعَ الشَّمْسِ

قصيدة ولدت في يوم كتبَ لها فيه الوفاة ،
إنَّها القصيدة التي تمنيت أن أصل بها إلى
مصاف الملاحم المطوّلة ، لكنَّ سلطان الشعر
القاهر أصرَّ إصرارَ مكابرةٍ أن تكون كما هي ،
وأن تتوقف حيثُ بلغت ، فكان له ما أراد .

إلاَّ أن ذلك الحكم الجائر لسلطان الشعر لم
يقف سداً منيعاً دون أن ترى طريقها إلى النور
حيثُ مصدر الأنوار العلوية شمس الحقيقة

الخالدة ...

أم أبيها ...

أشرف إنسانة عرفها الوجود .

« من الطويل »

أرى العمرَ أعراضاً تكالبُ وخزُها
فكم عاقني عنها فؤادُ أجاذبهُ
إذا مرّتِ الحسناءُ يوماً بجنينا
تعمدّت جذبَ الثوبِ والسترُ جاذبهُ
لها الخالُ مسكٌ قد تَضَوَّعَ طيبُهُ
فسبحانَ مَنْ في العطرِ لاحتْ مواهبُهُ!
تقلّبني الأحلامُ في كلِّ ليلةٍ
ولولا همومُ القلبِ سارتْ مواكبُهُ
أرى بسمةَ المعشوقِ لله درُّها
أصابتْ سويدا القلبِ فالتاعَ لاهبُهُ
فللعينِ تطريزٌ وللثغرِ مثلهُ
وشعرٌ على الكتفينِ تُرخى ذوائبهُ

ومن فوق ذاك الساق والفخذِ عالمٌ
كديرٍ لدى الرومان شيدت محاربه
دعنتي إلى «القداس» في دجن ليلة
فقمنا معاً و«الدير» حنت جوانبه
تقاطع أشعارٍ ونثر نلوكها
بترنيم «قسيس» تعالت نوادبه
شربنا من «التعميد» كي نبلغ المنى
فلا القس أذكنا ولا الحبرُ صاحبه
طبعتُ على الخدين قبلةَ عاشقٍ
رأى الحورَ في التقبيلِ سراً تلاعبه
«فলেعجز» إيرادٌ و«للصدر» وثبةٌ
و«للطرف» تسييحٌ تجلّت غرائبه
عرجنا إلى المعبود والكأس بيننا
وكلُّ الذي نخشاهُ ثجّت سحائبه

ألوذ بها وحدي وفي القلب لوعةٌ
تُذيب الحشا قسراً فتطغى بلايلُهُ
أقبلُ ثغراً أتقنَ اللهُ صنعهُ
ومن عينها طرفاً أصيبت مضاربهُ
فقبلتها رشفاً ومالت بخصرها
فأسقطتُ جسماً شابهَ الصبحَ قلبه
فإن أسفرتُ بدرأً حكى الوجهُ حسنهُ
وإن أعرضتُ طيفاً ترامتُ مشاربهُ



علامُ يُباعُ العِرضُ والعمرُ دونهُ
هل الفقرُ إعواز أم الفقرُ قاربهُ؟!
إذا كان حبُّ الآلِ يُورثُ نكبةً
فخيرُ لنا في الآلِ موتُ نغالبه!

لئن ضاقت الأرزاقُ والأمنُ بعدها
فخيرُ الورى في الشعبِ ضاقتُ مطالبُه
على ذمّة التاريخِ تمضي جحافلُ
وفي ذمّة التاريخِ تُطوى عجائبُه
أفيقوا رجال الدين ... إن «محمدًا»
أراد بنا خيراً فعمّت تجاربه!
فكم غرّد العصفورُ في الصبحِ مُعلنًا
تباشيرَ يومٍ جدّ في البحثِ كاتبُه



قطعتُ طريقَ العلمِ فرداً موقفاً
وأنتَ الذي بالعلمِ سارتُ مناقبُه
سكبتُ بها دمعي وإنّي لَعالمٌ
ومثلي على التقطيعِ تجري مساحبه

إذا قلتُ: ضاق الصدرُ من بعد خلّتي
تذكّرتُ عزّاً قد تناهتُ مناقبه!
نعيشُ وللتقريع في الناس دولةً
وأمرُ الهدى في الناس صُدّتْ كتابه
عجبتُ من الأبناء في كلِّ جلسةٍ
تحلّل أوضاعاً ونرداً تلاعبه
دهتار يوعُ القدس تجري دماؤها
فهل ثائرٌ بالحقّ تسمو رغائبه؟!
يطهّر أرضَ القدس من شرِّ أمّةٍ
له موطنُ الإيمان بيعت ترايبه
فخذها من «الأهوار» قتلى تصاعدتُ
إلى موطن الأتراك و«الغرب» ناصبه



سألتُ أهيلَ الشامِ عن حالِ أمةٍ
بها أوَّلُ الأسبابِ عمّتْ مطالبُه
غداة سَرَتَ للشامِ أفواجُ «طيبةٍ»
تُزلزلُ عرشَ الشامِ واهتزَّ جانبُه
أفِقُ كاتبَ الوحيِ المرجى عطاؤه
فسرُّ الفتى سرُّ وللخالِ جاذبه!
فتلكَ من «المختار» لعنُ لسائقِ
ومن ساسَ في التقديرِ لعنُ يناسبه
تُرى هل يعودُ الأمرُ شورى لأمةٍ
عراها من التغريبِ شيءٌ تحاربه
فيا مصدرَ التشريعِ ضاقتْ صدورنا!
متى تُنتضى للمجدِ فجراً قواضبه؟!
إذا كانَ طولُ البعدِ من أجلِ خبرةٍ
ففكرُ الهدى في الناسِ شعتْ ثواقبه

وإن كان حشدُ الناسِ للنصر غايةً
فخيرُ الملا بالأمسِ قد عزَّ طالبُه
ألم تُضربِ الزهراءُ والجمعُ حولها
ورمزُ التقى في الدارِ صُدَّتْ كتابه؟
ألم يُسقطوا منها وليداً تطلَّعتُ
له «فاطمٌ» في الحملِ والسوطُ ضاربه؟
تلقاه مَنْ للدارِ أمسى مُيمماً
وفي كفه «الرجون» قد زيدَ لاهبه
فألقي به عند البتولة مُعلنأ
هجوماً من الأصحابِ طالتْ نوابه



الإشراقة الثالثة:

طرخة الجنين

لقد نظمت الكثير من القطائد منذ ربيع
١٤٧هـ، إلا أنني لم أوفق إلى نظم قصيدة
واحدة فهي ذكره البتول ، حتى أطلّ عليّ ربيع
١٤١٥هـ فوجدت أنّ داعياً يدعوني، فلبّيت
كأسرع ما يكون.

إنّها دعوة من يثرب الطاهرة وعبر الأثير
المقدس...

إلى متى وأنت لا تهتدي الطريق؟!!!!
فما كان مني إلا أن أسبخت الوضوء ويمّمت
شطر القبر الطاهر، فكان لي ما أردت.

« من الطويل »

هو الحبُّ يا سعدى فقولِي : إلى متى
عشيق المها يبقى عليلاً مسهداً؟!
وأنتِ التي عمداً أصبتِ فؤادهُ
بسهمِ رأى في القلبِ يا سعدى موردا
تحرّيتُ بين القومِ أتلقو قصائدي
ومن قبلُ كان البابُ في الوجهِ موصدا
يقولونَ : في الأشعارِ نقصٌ وليتهمُ
أصابوا مِنِ الأشعارِ داءً مُخلّدا
وما شِرعَةُ الآدابِ إلا تورّع
وكمُ عاطلٍ بالنظمِ أضحى مُمجّدا!
على هامةِ التاريخِ مرّتِ مشاهدُ
أرى الفكرِ والأخلاقِ فيها تجسّدا

فإن أنس... لا أنس «البتول» بيثرب
وإن أنس... لا أنس النبي ممددا
وإن أنس... لا أنس «الأمير» ملببا
وإن أنس... لا أنس الحجاب مجردا
وإن أنس... لا أنس الجنين وقد هوى
صريعا على الأعتاب سقطاً توردا



قصدناك يا زهراء بعد فواصل
وجدناك يا زهراء للحلم معقدا!
رويدا رجال العلم والفضل إننا
شربنا كؤوس الصبر عمرا ملبدا
وما الدهر إلا راية العلم فخره
وكنتم لنا بالأمس واليوم مقصدا

فيا حوزة الأمجادِ إنِّي على الهدى
توسّمت في الأعلامِ حصناً تفرّداً
فأكبادنا حرى تأجج نارها
وأرواحنا للدين تُهدي التودداً
فيا صفوة الإخوانِ والحفلُ بيننا
على رأسه جبريل أمسى مُغرّداً!
ويا عصابة الأندال إنَّ «محمّداً»
توصّى بنا خيراً وما خافه بدا!
ألسنا بني «المختار» وهو عمادنا
وكلُّ الورى ترنوه عزّاً ومحتّداً؟!
أجيبوا... فإنَّ العمرَ للخلد معبرٌ
وما جنّةُ الرّحمنِ إلّا لنسعدا

لكَ اللهُ منَ حفلٍ وأنتَ رجاؤنا
وكم سابق للحفل يرجو التوحدا



لنا فيك يا «زهراء» بنت «محمد»
شعارٌ به نسمو على مَنْ تَمَرَّدَا!
فأنتِ العُلا والمجدُ والحِلمُ والتُّقى
وأنتِ التي في الحشرِ مأوى وموردا
هنيئاً لأهلِ المجدِ في كُلِّ محفلٍ
بِهِ تَلْتَقِي الآمالُ عهداً مؤكدا
عجبتُ مِنَ الأصحابِ كيفَ تفرَّقوا
فهل قسمةُ الأقدارِ أنْ تتبَعدا
أجيبوا عليلَ القلبِ إنِّي فداؤكم
فهل معشرَ الأحبابِ يكفيكم الفدا؟!!

عليُّ سجينُ الدارِ يبقى مقيداً
وأمرُ الهدى للغيرِ أمسى ممهداً

«حسين» بجانب النهرِ جسمٌ مبضعٌ
وبنت الهدى قهراً تجرُّ لتجلدا
وعينٌ لها باللطمِ أمست كجمرةٍ
تجددُ بي الأحزانَ والنوحَ والنداءَ
عليَّ يؤمُّ الدارَ يطلبُ «فاطما»
وفي القلبِ آهاتٌ تفتتُ أكبدا
فيا شيعَةَ الكرارِ إنِّي مُعذبٌ
فهلُ صرخةُ الأحلامِ تُنهي التبددا؟!
أبيتُ على الأحزانِ والليلُ جتتي
وحيداً أرى في الصمتِ حكماً مؤبداً



الإشراقة الرابعة:

غناء بلا حذاء

مُنذُ أن فتحتُ عينيَّ على الدُّنيا وأنا أسمع
الخطيب الحُسينيَّ يردّد كلمة: «النُّور
الفاطمي»، ولكنني لم أتلمّس معناها.
وعندما اشتدَّ العود ووصفا العقل، ورحبت
أتلمّس بعض معانيها وجدت أنّ ما أبحث عنه
هو قريب منّي، بل هو أكثر من ذلك. حيث إنني
رضعتُ ذلك في قطرات اللّبن الطاهر بروح
الولاء العلوي، وعندما استوضحت بعض الطّور
والمشاهد الحياتية التي كان لها لون الظهور
البين في مسيرتي، تأكّد أن ما أنا فيه من نعمةٍ
ظاهرة وباطنة هو وليد ذلك النُّور الفاطمي
الذي لا يحتاج إلّا بذل جهدٍ وعناء في سبيل
الوصول إليه، فكان ذلك سبباً مباشراً في بناء
هذه القصيدة واللّتي أرى فيها خلافاً ما يراه
الآخرون؛ لأن المعنى يبقى في قلب الشّاعر،
وهل الشعر إلّا ما كان كذلك؟!

«من الخفيف»

إنَّ نَهراً مِنَ المَحَبَّةِ يَجْرِي
فِي كِيانِي وَخاطِرِي وَنَشِيدِي
أَلْهَمَ الفِكرَ بَعْدَ صُمْتِ طَوِيلِ
صُورَةَ الحَبِّ عِنْدَ رِفِّ البُودِ
هَكَذَا عَشْتُ مُفرداً فِي زَمَانِ
كَانَ هَمِّي حِياةَ عَصْرِ جَدِيدِ
غَيْرَ أَنَّ الغِرامَ غَيَّرَ وَضْعِي
فَسَقَانِي كَأَسِّ العَذابِ الشَّدِيدِ
أَرَقِبُ النَجمَ سَاهِراً أَتَحَرِّي
عَلَّةَ الأَمْرِ ما أَنتا فِي الوُجودِ؟!

وإذا غارتِ النجومُ تباعاً
صحتُ أين الدليلُ بعدَ الجمودِ؟!



أيُّ شجوٍ بخافقي قد جناهُ
وحيُّ «سعدى» وجنُّ فيه شرودي؟!
غالٌ منِّي تفكّراً وأناةً

كيفَ أبقى رهينَ رَسفِ القيودِ؟!
هيَ مَنْ عِشتُ فيها ألفَ غرامٍ
وهيَ مَنْ رُمتهَا ليومَ الورودِ
أحملُ الحُبَّ مُفعماً بجنانِ
وأخافُ العذابَ بعدَ الصُّدودِ
أنا ذاكَ الذي رَمتهُ اللِّيالي
فوقَ جَدبٍ عندَ المقامِ الفريدِ

شَارِدَ الْفَكْرِ هَائِماً أَتَشْكِي
مَنْ شَوَاطِظِ أَحْسَسْتُهُ فِي الْوَرِيدِ
أَغْرَقَ النَّاسَ فِي الْغَرَامِ جَمَالُ
غَيْرَ أَنْ الْجَدِيرَ صَمْتُ الْوَلِيدِ
ذَاكَ أَدْرِي بِمَوْقِفِ الْعَشْقِ حَقّاً
حَيْثُ يُلْفَى عَلَيْهِ نَسْجُ الْبُرُودِ
يَلْمَسُ النَّهْدَ فَرِحَةً وَالتِّيَاعَا
لِيَرَى الْوَجْهَ طَافِحاً بِالسَّعُودِ
هَكَذَا سُنَّةُ الْغَرَامِ أَرَاهَا
مَصْدَرَ الْحَبِّ فِي الزَّمَانِ الْعَنِيدِ



يَا رَعَى اللَّهُ فِي الْحَدِيقَةِ ظِيماً
أَسْمَرَ اللَّوْنَ عَابِثاً فِي الْكِبُودِ!

وهبتهُ الحياةُ بذرةَ عِشْقٍ
وكسَاهُ الحياءُ خوفَ العبيدِ
ذكَرْتَنِي مُرورُهُ في حياءٍ
لذعةُ البردِ بعدَ قَصْفِ الرَّعودِ
فتعَشَّقْتُ ودَّهُ في ثباتِ
لحظةِ الوصلِ عشتها بوجودي



أيُّها الشاهدُ البعيدُ على ما
تترك الأمرَ حائرًا كالطَّريدِ؟!
ما عسى أن يقولَ خصمٌ دخيلٌ
بعدَ طولِ السُّرى ونكثِ العهودِ؟!
كيفَ دارتِ رحي «بسوس» علينا
ولنا في الإخاءِ نهجُ الرِّشيدِ!؟

أحمدُ المصطفى تعاهدَ زرعاً
وتلاهُ كريمُ أصلِ الجدودِ
أنا منكمُ وإنْ تدمرَ جمعٌ
أنا منكمُ برغمِ كُلِّ حسودِ
أنا منكمُ والذكرياتُ شهودُ
جمعتنا وقتَ الزحامِ الأكيدِ



كم شربنا من «الغدير» زلالاً
وشربنا معقراً بالصعيدِ
لنا في الحبِّ لهجةٌ يسرَّتْها
لوعةُ النفسِ عندَ عذبِ الورودِ
ذاك عهدٌ به استبقتُ زماني
حيثُ ولَّى مزملاً بالورودِ

وعلى هذه المناهج يبقى
طالب الحق غارقاً في السجود
تشخص الأمهات بعد مخاض
فترى الوشم فوق صدر الوليد
تحمّد الله إذ رأته سليماً
يحمل القلب منه نبض الشهيد



كم تعرت ربوعنا كصفيح
وهي أدري بحال دوح خضيد
غادر الحاسدون كل رشاد
مذأصابوا مُصقداً بالقيود
أي يومٍ ذاك الذي سطرته
طغمة البغي عند بيت الفقيد؟!

حيثُ جاءَ اللّئيمُ يحملُ ناراً
 ذكّرنا أفعالَ بغيِ اليهودِ
 زحفَ القومُ خلفه كوحوشٍ
 أريكتُ كلَّ مُعلنٍ بالصّمودِ
 أسقطوا «محسناً» وقادوا «عليّاً»
 ومضى الجمعُ صارخاً بالوعيدِ
 فأتت «فضّة» الأمانةُ تبغي
 رفعه حيثُ خرّ نحو السجودِ
 بينما الأمُّ «فاطم» في عناءِ
 ترقبُ اللّيثَ مفرداً في العديدِ
 رمقته ملبياً وسَطَ جمعِ
 لبسوا الذلَّ عمّةً كالقروِدِ
 فمضى القومُ زهّوهم قد تعالَى
 وتعالّتُ صيحاتهم في الحشودِ

يحبسون الفلاح ضربةً حظُّ
جهلوا الأمر بعد كلِّ الجهودِ



أيها القاصدون بيت عليٍّ
كضباع تنكّرت للأسودِ!
لم تنالوا من شأوه أيّ مرقي
بل تعسّم بفعلكم والجُودِ
قيّدته وصيّةً من أخيه
لم يخنها بجلكم كالحصيدِ
حمرّة العين شاهدٌ سوف تبقى
روتِ الفصلِ رغم أهلِ الجحودِ



الإشراق الخامسة:

تسيحة الصمت

ففي زمن تتجاذبه الأهواء والاتجاهات
الفكرية ، وجدت نفسي أمام مفروق طرق...
طريق يأخذ بيد صاحبه إلى حيث الاستنتاج
العقلي الصرف ، وآخر حيث التمسك بأهداب
النصر الموروث بعيداً عن روح التجزئة
والتركيب .

وجدت أن الموروث هو الموروث ، وعلى
أساسه تدار رحى الفكر البشري ، وبين هذا
وذاك وجدت نفسي أسير الحب الموروث ،
بعيداً عن جدلية القرن الحادي والعشرين ،
تمسكاً بقوله تعالى:

﴿ إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوْثَرَ ...
فَطَلَّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرُ ...
إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ ...

« من الكامل »

في ساحة المجد الرفيع مزارُ
الطَّهْرُ ذاتُ والوصيُّ منارُ
رَوْحٌ من الذِّكرِ الكريمِ يلفُّنا
فالأرضُ روضٌ والسَّماءُ خمارُ
اليومَ في بيتِ النَّبيِّ ولادةُ
غنى الرِّبيعِ وصفقِ النُّوارِ
ترنولها من فوق سبعِ عوالمِ
روحُ الملائكِ والدَّجى ينهارُ
فاليومَ عيدٌ قد تعاضمَ شأنُهُ
فالحبُّ يجني زرعَهُ الأخيارُ

حيث التوهج في بنيه علامةٌ
حول النبيُّ تُشعشع الأنوارُ



قسماً بذاتِكَ يا «عليُّ» تنكبتُ
دربَ الرشادِ ربيعةً ونزارُ!
هتفَ الضميرُ بمنْ تراجعَ بذله
إن الحياةَ مواقفٌ وقرارُ
لو كنتُ منْ ذاكِ الفريقِ لقادني
نحو التّفردِ حشمةً ووقارُ
ارجعْ لذاتِكَ يا أخي فهذهِ
أفراحُ «طه» ساحةٍ معطارُ!
واعقدْ يميناً كي تكونَ مؤمناً
يومَ الورودِ تصونك الأعمارُ



يا أمة المختار جاز بحينا
بدر رفيع فابتدى «المشوار»
قولي : لماذا لا تُقيمُ محافلاً
للعوِظِ فينا نخبَةً أبرارُ؟!
قولي علامَ قد تأخرَ ركُبنا
والغربُ أمستُ نحوهُ الأسفارُ؟!
هلاً رجعنا للقديمِ يحثنا
نحو التّقدّمِ همّةٌ وذِمَارُ
متقربين إلى الحضيضِ يقودنا
رغمَ التحضرِّ ذلّةٌ وصغارُ
أبصرتُ كلَّ المادحين نفوسهم
كـ«الفلس» فينا أصله الإقتارُ
المالُ همٌّ والتغرُّبُ غايةٌ
والليلُ لهوٌ والنهارُ أوارُ

كَيْفَ التَّصَبُّرُ وَالضِّيَاعُ يَلْقَنَا
مَنْ كُلِّ صُوبٍ وَالْحَيَاةُ دَوَارٌ؟!
يَكْفِي التَّخَلُّفَ أَنْ يُقَالَ مُهَاجِرٌ
مَنْ فَرَطَ مَا شَطَّتْ بِهِ الْأَوْزَارُ
الْيَوْمَ يَسْمُو فِي الرَّبِيعِ مُعَمَّمٌ
إِنْ رَامَ هَدِيًّا أُمَّهُ الْأَطْهَارُ
تُرْبِي النُّفُوسُ عَلَى الْوَفَاءِ وَإِنَّمَا
قَدْ لَا يَدُومُ عَلَى الْوَفَاءِ صِغَارُ



سُرْعَانَ مَا سَقَطَ الْجَنِينَ مُضْمَخًا
يَقْظُ الْفَوَادِ وَدَمْعُهُ مِدْرَارُ
يَبْكِي لِأُمِّ قَدْ تَهَشَّمَتْ ضَلْعُهَا
وَالْقَلْبُ نَزَفٌ أَصْلُهُ الْمَسْمَارُ

وُغْدَاةٌ هَبَّتْ لِلْأَمِيرِ جَمَاعَةً
 زَحْفًا تَحْبُ وَيْتَهُ الْمَضْمَارُ
 وَجَدُوهُ قَدْ رَامَ الصَّلَاةَ يَقُودُهُ
 قَلْبٌ عَطُوفٌ شَأْنُهُ الْإِشَارُ
 قَادُوهُ مِنْ حِينَ الدَّخُولِ مُلَبِّبًا
 بِالسَّيْفِ لِمَا خَانَتْ الْأَنْصَارُ
 أَلْقَوْا عَلَى الْوَجْهِ الشَّرِيفِ عِمَامَةً
 كَيْ لَا يَرَى الْوَجْهَ الشَّرِيفَ جِوَارُ
 حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ مُدَّ رِدَاءَهُ
 عَادَ الْوَصِيُّ تُحْفُهُ الْأَخْطَارُ
 وَجَدَ «الْبَتُولَةَ» وَالِدْمَاءُ تَحُوطُهَا
 وَالْوَجْهَ تُبْدُو فَوْقَهُ الْآثَارُ
 وَقَعَ الْوَصِيُّ عَلَى التَّرَابِ مُمَدِّدًا
 مِنْ هَوْلٍ مَا قَدْ جَاءَهُ الْأَشْرَارُ

أهوى من الطُّهرِ البتولةِ «محسنٌ»
فنتعه أملاكُ السَّما الأَطهارُ



يا حجةَ العصرِ المؤملِ فجره
طال البعادُ وتاهتِ الأفكارُ!
في كلِّ مصرٍ يا إمامَ شريعةٍ
ألغابُ أرسى نهجها والعارُ
نسجوا النصوصَ من الكتابِ روايةً
والعشبَ أمتَ نهجَه الأبقارُ
حشدوا على الفكرِ الأصيلِ جيوشهمُ
فالرقصُ سحرٌ والعصا مِزمارُ
يتحدّثون عن الثَّمالِ كأنهم
أعجازُ نخلٍ هزَّها إعصارُ

أما الذين إلى السفورِ يقودهم
عبدُ الفجورِ فجحفلُ جرارُ
أما الذين عن الطريقِ تنكبوا
لا الوردُ فيءٌ لا ولا الإصدارُ



أم إذا ما قيل: بنتُ «محمدٍ»
سفرٌ تلمس سره المختارُ
ألقى الإلهُ على «البتولة» مسحةً
في النطقِ منها تنتشي الأزهارُ
حبلُ النبوةِ باليمينِ تشدهُ
كما تُشد من الإمامِ يسارُ
فهي التموجُ وسطَ ألفِ مدينةٍ
بات المرجى عندها الكرارُ

عقد الإله على الوصي قرانها
والليل ساج كله أسرار
طاب اللقاء على الولاء يحفه الـ
حب الأکید فطابت الأصهار
طوبى لمن جعل الولاء طريقه
إن الولاء تكامل وشعار



الإشراقة السادسة:

الزهراء عليها السلام

«عروس الكبرياء»

عندما ينطلق الشاعر باحثاً عن لوحة فنيّة
رسمتها الطبيعة.

أو عندما ينطلق باحثاً عن لوحة طرّزتها يد
الإنسانية بما أوتيت من أدوات الخيال المسافر
إلى أقصى المسافات.

يبقى الشاعر باحثاً عن ما وراء هذين
البعدين العظيمين...

إنّ البعد الثالث في مدرسة الشاعر الذي
أراد لنفسه أن ينصهر في عوالم الثبات، ولن
يهتدي سبيله إلا أن يعود إلى مصدر هذا
الثبات. وحيث إنّ الرجوع إلى معالم الأنوار
الفاطمية هو ما يوجب ذلك الثبات، فمن هنا
راحت هذه الأبيات المتواضعة ترسم جانباً من
ذلكم الإلهام الأسر بكل ألوانه الملكوتية.

«من الطويل»

أتيتُ إلى مسراكِ كي أشهدَ المسرى
وعدتُ وفي الأحشاءِ ما يُلهبُ الجمرا
ولذتُ بجنبِ الدَّارِ أسألُ ما جرى؟
فردتُ صروفَ الدَّارِ أنتَ بها أدري
ألمَ تدرِ أنَّ القومَ قد هَبَّ جمعُهُم
فلمَ يُصروا رُشداً ولمَ يحفظوا سِترا؟!
فإن أنسَ ذاكَ اليومَ لا أنسَ ما جرى
وضلعُ الهدى بالبابِ قد أوسعوا كسرا
غداةً أرادتُ عنهمُ البابَ ساتراً
أصروا على الإيذاء فاستحسنوا العصرا
أناسٌ مِنَ الأحقادِ ضاقتُ صدورُهُم
فهمَّوا بآلِ الله ما يُثبتُ الغدرا

أقاموا مع المختار عمراً وليتهم
أفادوا من المختار ما يبلغ العُشرا
إذا لم يكن في الباب سرٌّ فما جرى
من الصَّحْبِ إصرارٌ وقد أثبتَ الوزرا



أقول: علامَ الهمُّ والغمُّ والأذى
وفي كلِّ يومٍ أبصرُ الخوفَ والضراً؟!
هل النفسُ تعليلٌ أم النفسُ علّةٌ
أم النفسُ أهواءٌ تحيلُ الحلا مُراً؟!
أبيتُ على السَّعدانِ ليلي مُسهداً
ومن حولي الديباجُ لم يُهنيني وفراً
صغيراً طرقتُ الحبَّ أبغي صروفه
فما عشته سهلاً وما عشته عُسراً

مقاديرها الأيام لُفَّتْ بعاتقي
فهذا الفؤاد الغرُّ في شوقه غُرًّا
مخرتُ عبابَ الحبِّ تطوي مجادفي
لياليَ عندَ السيفِ لم تبتعدُ شبراً
ترانبي شربتُ الماءَ إلا للذعةِ
أصابتُ من الأحشاء ما يُقصمُ الظهرَ
فهذا الهوى الممزوجُ بالحبِّ والأسى
تعرَّفْتُهُ عمراً وقد أوقرَ الصدرَ
فليس حريّاً من يرى الصمتَ نهجَه
إذا ضامه دهرٌ رأى صمتهُ عُذراً
فهلْ غيرَ الأكوانِ منّا مُدَجَّنٌ
رأى عُذْرَهُ في الناسِ لم يسمعِ الذُّكْرَا؟
وهلْ غيرَ التاريخِ إلا مُجَاهِدٌ
رأى همّه أن يُعلنَ النهيَ والأمرَا؟!

فأمسى بعون الله تتلوهُ أُمَّةٌ
رأتُ عزَّها فيه فهبت له تترى



رأيتُ غرابَ البين من فوق سِدْرَةٍ
فقلتُ: غرابُ البين لا يعرفُ البشرى

فهل كان قبلَ اليومِ معشوقَ أُمَّةٍ
سوى من رأى الأخلاقَ والحبَّ والصِّبراً؟
فلو غيَّرَ الواشونَ نهجَ حُرُوبِهِمْ

لما أنكروا الإسلامَ واستحسنوا الكفرا
ولولا خطابُ سَطْرَتِهِ بجمعِهِمْ

لما كان هذا الدينُ في حيناً قرأ
إذا أغريتُ في الحيِّ حسناءُ قادهَا

إلى موطن الإيذاء مَنْ يجهلُ القَدرا

وعاقبتُ أهلَ الحبِّ من غيرِ علّةٍ
سوى أنني في الناس لم أحفظ المسرى
طموحي إلى العلياء أودي بِخَطّتي
فما عِشْتُهُ نثراً ولا عِشْتُهُ شِعْراً
ألم يدرِ هذا الكونُ أنّك أصلُهُ
وأنتِ قُبَيْلَ الكونِ قد عِشْتِهِ ذِراً
تأمّلْ ترَ الإخوانَ قلتُ فعَالُهُمْ
وإن هُمُ في التُّعدادِ قد حطّموا الصِّفْراً
لقد دارتِ الدُّنيا عليَّ بغدِرها
فأبَدتُ فناءَ الدارِ في ناظري قِبراً



لبستُ لباسَ الخوفِ أبغني تحصناً
فكلُّ الذي أخشاه في خاطري أزرى

حلبتُ ضروعَ الجهلِ همساً وخِفْتُهُ
كأنيّ الذي في الحيِّ قد أتقنَ الزمراً
مشى اللّيلُ والأحداثُ تطوي مسيرَهُ
يشدُّ الخطى خوفاً ويُردي بها أُخرى
فما ميّزتهُ عن رفاقِ يدِ النّدى
ولا قدّمتُ في الناسِ معروفه الأُمرا
لعلّي أرى في الصّحب من صانَ عهدَهُ
فسارَ به نهجاً وجَدَّ به نصراً
قضتُ هذه الأعوامُ والناسُ حظُّها
من الأمر أن تُحيا رخيصاً ولا تُعري
ذمّتُ فِعالَ الصّحبِ في يومِ جَمعِهِمْ
وفي حجرة المختارِ قد أعلنوا «الهجرا»
أصابوا بُبابَ الدّينِ سهماً حسبتُهُ
أصابَ الذي أرجوه مُستجمعاُ شراً

إذا الدارُ لم تَألفُ صغيراً يُحبُّها
فلا ضيرَ بعدَ اليومِ نسعى له جَهراً
وإن كنتَ قبلَ اليومِ تسألُ عارضاً
فَجِدْ طالبَ الأيامِ كنتَ بهِ أحرى
ولو صارَ الأحلامَ في الليلِ ساهرٌ
فما قلبَ الأحلامِ من أسندَ الظهرِ
أُقلِّبُ طرفي في الربوعِ مُعللاً
أرى النفسَ بعدَ اليومِ مملوءةً قهراً
أقولُ: علامَ الفكرِ يُقصي حماتهُ
ويُلقي رهينَ الجُبِّ من يحملُ الفكرَ؟!
أمرُّ بذاتِ الدارِ مُذ كنتُ يافعاً
وفي خاطري منها الذي يحصدُ العُمرا
أتيتُكِ والذكري تجولُ بخاطري
فعدتُ وفي الأحشاءِ ما يشبهُ الجمرا

نظمتُ لُبَابَ الشَّعْرِ مِنْ أَصْلِ مُهْجَتِي
فَأَوْلَيْتُهُ «التَّفْعِيلَ وَالرَّوْيَ وَالْبَحْرَا»
أَحْقَا رُؤْيَ الْأَشْعَارِ تَصْنَعُ بِالْفَتَى
دُرُوبًا مِنْ الْأَمَالِ مُحْشَوَّةً فَقْرًا؟!
أَقِيمُوا حِمَاةَ الدِّينِ لِلَّهِ شَرْعَةً
تَسِيرُ بِهَا الْأَفْلَاكُ مَزْهَوَّةً فُخْرًا!
كَذَاكَ أَرَى «التَّفْوِيضَ» يَقْضِي لَضِيعَةً
تَوَاصَتْ بِهِ دَهْرًا وَتَاهَتْ بِهِ دَهْرًا
فَأَيْنَ «بنو العباس» يَا صَاحِ وَالَّذِي
يَخَاطَبُ رُكْبَ السُّحْبِ إِنْ أَزْمَعْتَ قَطْرًا؟!
لَقَدْ دَالَتْ الدُّنْيَا عَلَيْهِ وَصَحِيحِهِ
فَطَافَ بِحِي السَّعْدِ يَسْتَحْلِبُ السُّكْرَا

أَقِيمُوا وِلَاةَ الْأَمْرِ لِلنَّاسِ وَزَنَّهُمْ
فَقَدْ ضَاقتِ الْأَرْجَاءُ مِذْ أُبْدِلتِ قَهْرًا



الإشراقة السابعة:

تراويل في السحر

عندما يغادر الإنسان المكان يخلف وراءه
شيئاً من الفراغ، وعندما تغادر أسراب
الطافير الشجر تخلف وراءها حفيف
الذكريات، وعندما ينظم الشاعر مشاعره يحار
بأي لون تكون وعلى أي صفة.

ولكنّ المشهد الفاطمي لا يترك للشاعر مجالاً
دون أن يغوص في الأعماق بعيداً عن رتابة
التكلف.

وعلى أساس من ذلك كله، وجدت نفسي
أغادر المكان كي أعيش المكان، فكان المكان
كما أحببت...

حيث البيت الفاطمي أحب البيوت إلى قلب
النبوي ﷺ.

« من الكامل »

هُزِّي الضمائر يا «بتول» فإنها
باتت على عين الحقيقة تُصنع!
مَنْ يقرأ التاريخَ نصّاً ثابتاً
يجدِ الفظائعَ والدسائسَ تسطعُ
أجرُ الرسالة أن تُصانَ كرامةُ
لا أن تضيقَ بنا الجهاتُ الأربعُ
ضاقتُ صدورُ الناكثينَ «بطيبة»
فالأمرُ شورى والكتابُ يُضَعُ
فاسألِ دعاةَ الأمرِ حينَ تشاوروا
هل كانَ في جمعِ الرجالِ الأنزعُ؟!

أَمْ كَانَ فِي بَيْتِ الرَّسُولِ مُوَكَّلًا
بِالدَّفْنِ لَمَّا غَابَ عَنْهُ الْمَجْمَعُ؟!



يَا بِسْمَةَ الْعَمْرِ الْحَزِينِ تَمْرِدِي
إِنْ طَالَ لَيْلٌ فَالْمَعْنَى يَضْرَعُ!
هَذِي الثَّوَابِتُ يَا «بَتُولُ» نَحْوُطَهَا
فَالرُّوحُ جِسْرٌ وَالْمَرْجَى الْأَمْنَعُ
حَيْثُ الشَّرِيعَةُ لَا يَتَمُّ بِنَاؤُهَا
وَالكُلُّ مِّنَّا لِلتَّفَرُّجِ يَخْضَعُ
مَا كَانَ عَهْدُ الْفَاتِحِينَ بِبِدْعَةٍ
أَيَّامَ سَارُوا وَالْمَنَايَا خُشَعُ
أَيَّامَ سَارَتْ لِلجَّهَادِ جِحَافِلُ
جَادَتْ رِيَانَا وَاسْتَشِيرَ الْبَلْقَعُ

واليوم عاد الناسُ في معشوقهم
فالمالُ يُغري والّلذّاذة تُطمِعُ



ما زلتُ أسألُ عن مواطنِ عزّنا
ما انفكَّ منّي بالإشارة إصبعُ
لكنَّ عهدي بالثقة تغيّروا
ولرُبَّ ثبّتٍ قد طواه المشرعُ
حتى إذا عمَّ السديمُ وجدّتي
ملقى بأرضٍ تاه فيها المبدعُ
فالبدرُ يسري والكواكبُ حولهُ
حشدٌ عظيمٌ نورها يتشعشعُ
والذئبُ يعوي والكلابُ تُجيبهُ
والكونُ صمتٌ والبرايا هُجّعُ

والجوعُ يُلويُ والسَّهادُ تُأججُ
والقلبُ جمراً والمآقي تدمعُ
حتى إذا لاحَ الصِّباحُ تقشَّعتُ
تلكَ المصائبُ واستُعِضَ الموضعُ
ألفيتُ نفسي في المحافلِ سائراً
والناسَ حولي في ثباتٍ تدفعُ
عيدانٍ في أفقِ السماءِ ترافقا
عيدُ الهدايةِ والربيعُ المُمِرُّعُ



يا صَحْبَ طه والبتولِ وحيدرِ
ما ضاعَ حفلُ والهداةُ المنبعُ!
سيروا بعونِ اللهِ صوبَ محافلِ
جبريلُ فيها والملائكُ تسمعُ

قسماً برّياتِ الحِجَالِ وخدرها
ما ضاعَ فردٌ في المكارمِ يرتعُ
كلاً ولا ضاعَ الشبابُ مضمخاً
والمجدُ بينى والمواضي تلمعُ
من ينصرَ الشرعَ الحنيفَ «ففاطم»
للدينِ ركنٌ... بل سنامٌ أرفعُ
لا تطلبوا النصرَ الكبيرَ بفكرةٍ
سيانَ فيها ما يُقالُ ويُسمعُ
كلاً ولكن ترجموها موقفاً
في الأرضِ تسمو والبرايا تتبعُ!
حريةُ الأفكارِ سرُّ نجاحنا
والكفرُ بالفكرِ الأصلُ يُزعزعُ

هذا الطريقُ إلى البتولِ ورفضها
رفضٌ لمنْ عندَ المهيمِنِ يَشْفَعُ
بنتُ الهدى أمُّ النبيِّ وبضعةٌ
سرٌّ على نظرِ المهيمِنِ يُصنعُ
تهوي الملائكُ للسَّجودِ تقرباً
إن لآحَ وجهه أو تراءى مطلعُ
وإذا بها بعد النبيِّ تغرَّبتُ
فالإرثُ نهبٌ والعطايا تُمنعُ
بالأمسِ جمعُ الطَّامعينِ تقربوا
واليومَ سُلَّتْ في أذاها القطعُ



أيُّ المآسي بعد طه نابنا؟!
بل أيُّ جرحٍ في حشانا يوجع؟!!

هل كان أجراً كي يسقطُ محسنٌ

أم خلفَ بابٍ لا تُصان الأضلعُ؟

هل كان أجراً أن تُحلَّ عمامةٌ

أم كيف يُلقى في جهارٍ برقعُ؟

هل كان أجراً أن تفيض مدامعُ

أو تعلقو كفٌ في الزحامِ وتُصفعُ؟

والمتنُ من ضربِ الصَّحابِ تناثرتُ

منهُ بثُورٌ واستُبيحتُ أربعُ

من قال في جمعِ الصَّحابِ و«فاطمٌ»

بالنارِ جهراً يا صحابِ تُروعُ؟!

من قال في جمعِ الصَّحابِ و«فاطمٌ»

أهوتُ بسقطِ خلفِ بابٍ يُصرعُ؟!

كلاً وربُّ البيتِ إنَّ محمداً

وصى ولكن صمَّ منهم مسمعُ!

لكن أركان الصحابِ تمرّدوا
فالعيشُ في ظلِ الطغاةِ تمنعُ



يا بضعةَ الهادي الشريفِ تحنّناً
فالكلُّ أمسى في الشفاعةِ يطمعُ؛
نصحو على شدِّ الجراحِ وهمنا
في كلِّ يومٍ أن يقومَ الأروعُ
لكنّه النفسُ الطويلُ يمدّه
فكرٌ أصيلٌ لا طبولٌ تقرعُ
والحجّةُ «المهدي» يعلمُ حالنا
لكنّه الأمرُ المنيعُ الأتلعُ
أماءُ ياسرِ الوجودِ كرامةً
فالشعرُ بحرٌ غاص فيه المفجعُ!

هل أقرأ الشعر القديمَ واقفاً
والروحُ فينا كلُّ يومٍ تُصرعُ!
قد أنظمُ الشعرَ القريضَ ملاحماً
لكنَّ قصدي في الحنايا مُودَعُ؟!
أن تفتطمَ النارَ الَّتِي قد سُجرت
مِن قبل أمرٍ أو يصانَ الموقعُ



أماه يا عرسَ الأميرِ تحيَّةً
مِن قلبِ شبلٍ في هواكٍ يُقطَعُ!
مَنْ كانَ يَرجو أن ينالَ شفاعَةً
إلا بنظمِ أنتِ فيهِ المَطلعُ؟!!

هيهاتَ يَسْمُو للمعالي شاعرٌ
ما لم يوشحْ بالكرامِ المِصرعُ



١٤١٩ هـ

الإشراقة الثامنة:

حديث الجراح

هني آخر ما كتبت شعراً...
رجائي أن أبلغ الهدف من خلالها...
حيث أطلقت للواقعية العنان...
وأمسكت بأسباب التجريد الموجه...
هدفي من وراء ذلك كله، أن يأخذ الأدب
الشاعري طريقه الصحيح في عالم البناء
الذاتي، والانفتاح الميسر...
بعيدا عن روح التعصب الفئوي، والانغلاق
الفكري، والتجديد الأعمى، رائدنا في ذلك
كله وحي المناسبة، حيث الإشراقة الأولى
في هذا الطريق الطويل المظلم
إنها صرخة البتول.

« من الطويل »

بني أمّتي غذّوا المسيرَ لنهضةٍ
تحطّم عرشَ الجهلِ فالجهلُ باطلُ!
بني أمّتي إمّا علومٌ نصونها
أو الفقرُ في الأحياء يرعاهُ جاهلُ!
من الغرب أرتالٌ... من الشرق مثلها
تلاقتُ على التضليلِ والهولُ نازلُ
فمن رامَ أسبابَ الفلاحِ سعى لها
ومن رامَ ثوبَ الذلِّ فالذلُّ شاملُ
ومن جدّ في التّحصيلِ يبغى سعادةً
يجدُ دربها سمحاً رعتهُ الأوائلُ



أفيقوا من النوم انتفاضاً إلى العلا
فخير لنا فردٌ تقيٌّ مواصلٌ
فعندئذٍ نسمو وتعلو بيارقُ
ويرنو إلى ذي الصرح شهمٌ مناضلٌ
فما أنتم إلا الأباة وأصلكمُ
بنته قديمُ الدهرِ قيسٌ ووائلٌ
ولست أشكُ اليومَ فيكم وأنتمُ
وجوهٌ كوجهِ البدرِ يرنوهُ سائلٌ
تقومُ على التّضليلِ في الناسِ عُصبةٌ
على الدينِ والأخلاقِ منها المعاولُ
وما هذه الأخطارُ إلا صنائعُ
رعاها شرورُ الكفرِ والفكرُ غافلٌ
ولكنني أقضي وفي القلبِ هاجسٌ
تُرى هل يعودُ المجدُ فينا يساجلُ؟!

وَيُصْبِحُ أَمْرُ الدِّينِ تَرَعَاهُ عُصْبَةٌ
زَعِيمُ الرُّؤْيِ فِيهَا خَطِيبٌ مُجَامِلٌ؟!
وَمَا جِئْتُ بَعْدَ النَّظْمِ أَرْجُو تَعَاظِفًا
بِهَا قَوْلَةُ الـ «أَحْسَنْتُ» يُزْجِيهَا جَاهِلٌ
فَكُلُّ نَفْسٍ النَّظْمِ يَبْقَى مَعْمَرًا
تَرَدُّدُهُ الْأَجْيَالُ مَا حَلَّ نَازِلٌ
سَلَامٌ عَلَى الْأَحْبَابِ وَالْحَفْلُ شَاخِصٌ
سَلَامٌ عَلَى الْأَحْبَابِ وَالْحَفْلُ شَامِلٌ



أَقِيمُوا حِمَاةَ الدِّينِ لِلْعِلْمِ مَنْبِرًا
بِهِ دَوْرَةُ التَّنْقِيفِ يَحْدُوهَا عَامِلٌ!
لَقَدْ طَافَتِ الْأَكْوَانُ بِالْأَمْسِ ثَلَاثَةٌ
وَأُخْرَى إِلَى التَّحْصِيلِ هَبَّتْ تُعَاجِلُ

ويصبحُ أمرُ الدينِ في كَفِّ معشرٍ
يسرونَ في هديٍّ فيخضُرُ ساحلُ
وما تُصدرُ الأبناءُ في يومِ عيدِها
نمَاءُ أصابَ القلبَ وازدانَ حافلُ
تُرى مِن لَنَا في الدسِّ والدسِّ قائمُ
وفذُّ على التّفكيرِ يُقصيه جاهلُ
هلُ العِلْمُ حَصْرٌ في أناسٍ نعدّهم
أمُ العِلْمُ نَهْجٌ ليسَ فيه تفاضلُ
فلا الجُدُّ أبحاثٌ من «الفقه» تُقتنى
ولا العمُّ كـ«التجريد» علماً يُشاكلُ
ولا الخالُ «إسنادُ الحديثِ معنعناً»
ولا الصّحبُ والإخوانُ ذكراً يُحاولُ
بلِ العِلْمُ بالإخلاصِ والصبرِ يُقتنى
وغيرَ الذي قد قلتُ لا شكَّ باطلُ

فكم من فقيرٍ طاولَ النّجمَ فكرُهُ
وكم من غريبٍ كانَ قرناً يِصاؤلُ!
فهذا «الفرابيُّ» الذي ذاع صيتهُ
غريبٌ ولكنْ صاحبُ العقلِ فاضلُ
كذاك «ابنُ سينا» أتعبَ الناسَ علمُهُ
وراحتْ بنظمِ البعضِ تُحدى القوافلُ
أجيبوا رفاقَ الدربِ إنّا مع السرى
فخيرٌ لنا رأيٌ تقصّاهُ كاملُ!



فيا مهجةَ المختارِ جننا وفي الحشا
من الصبرِ تبريحٌ من الصمتِ هازلُ!
تقوم على التأمينِ في الناسِ ثلّةٌ
فكيف أميرُ الناسِ يعلوهُ باقلُ؟!

تُرى أينهم والركبُ قد سار من منى
يؤم ربيعَ النورِ والوحي نازلُ؟!
ألا يا بن عبد الله في الجمع «فاطم»
توصُّ بها في الله يُسعدك كافلُ؟!
هو العهدُ عهدُ الله يا خيرَ أمّةٍ
رعاها من التنزيل فرضٌ ونافلُ!
فأين رجالُ الحقِّ عن بنتِ أحمدٍ
غداة أتت للصَّحبِ والجسمِ ناحِلُ؟!
نسينا أهيلَ الشَّامِ فاخضرَّ عودهمُ
فطيفَ بيتِ المجدِ وازدانَ باطلُ
لقد قالها عبدٌ ضليلٌ يسوقهُ
وخيرُ الورى لله يحدوه شاغلُ
كفانا كتابٌ من إله وليتها
تقضتْ به يوماً وأرداه قاتلُ

فَمَنْ رَامَ سِرَّ الْأَمْرِ يَلْقَاهُ شَاخِصًا
وَمُسْتَوْدَعُ الْأَسْرَارِ بِالسَّرِّ حَافِلُ



تَوَخَّتَهُ خَلْفَ الْبَابِ بِنْتُ مُحَمَّدٍ
غَدَاةً أَتَى لِلدَّارِ حَرْقًا يُحَاوِلُ
فَقَامَتْ تَصَدُّ الْقَوْمَ عَنْهَا وَظَنُّهَا
تُرَاعَى وَلَكِنْ شَدَّ فِي الْحَالِ حَائِلُ
أَصَابُوا مِنْ «الزَّهْرَاءِ» ضَلْعَيْنِ بَعْدَمَا
أَصَابُوا مِنَ الْكِرَارِ وَالْكُلِّ خَاذِلُ
لَقَدْ لَبَّيُوا الْكِرَارَ وَالسَّيْفُ دُونَهُ
وَرَا حَتُّ بَقَلْبِ الدَّارِ تَرَعَى الْأَنَاذِلُ
لِئِنْ مَاتَتْ «الزَّهْرَاءُ» غَضِبِي بِفَعْلِهِمْ
فَقَبْلًا قَضَى الْمُخْتَارُ وَالْخَطْبُ نَازِلُ!

الإشراقة التاسعة:

وهج المشاعر

يقول الشاعر العربي الكبير الراحل نزار قباني
في واحدة من روائعه:

كلماتنا في الحب تقتل حبنا

إنّ الكلام يموت حين يقال

إذا كان الشاعر الراحل أصدر هذا الحكم جرّاء
حب ماديّ صرف، فكيف بمن يعيش الحبّ في
قلبه المعنويّ، حيث الولاء الطاق لآل
العصمة الكبرى.

أيّ الكلمات الخرساء لا تفوه بما ينبغي أن
تفوه به رغم الصمت المطبق، وإذا ما تمّ ذلك
فليس ثمة شيءٌ إلاّ الخلود والبقاء، حيث
المدد المتجدد...

فاطميّ المصدر...

مهودويّ البقاء...

« من الخفيف »

هاجَ بي الشوقُ أمْ أنا أتوهمُ
نبئني ورديةَ الخدِّ والفمِّ؟!
أنبئني فالليلُ حنَّ إلينا
وكذا البدرُ شاهداً يتسمُّ
إن قلباً أصابهُ منكِ سهمٌ
ليس يشفى وأنتِ للجرحِ بلسمُ
طارحيني الحديثَ صباحاً مساءً
فكلامُ الحبيبِ لحنٌ منغمُّ
هل صحيحٌ أن الغناءَ ابتذالٌ؟!
أم صحيحٌ أن الملائكَ تُغرَمُ؟
هل صحيحٌ أن السفورَ حرامٌ؟
أم جمالُ الفتاةِ وجهٌ ومِعصمٌ؟

إِنَّ لِبَسِ الْفَتَاةِ مَارِثًا سَتْرًا
تَحْتَهُ النَّهْدُ وَاثِبًا يَتَهَكَّمُ
هَلْ يَقُودُ الرَّجَالَ نَحْوَ جَمَالٍ
غَيْرُ خَالٍ وَنَظْرَةٍ ثَمَّ مَبْسَمٌ؟!
نَبَّئْنِي فَأَنْتِ ظِلٌّ وَفَيْرٌ
وَأَنَا مَنْ عَلَى الْأُمُورِ تَكْتَمُ
طَارِحِينِي بَعَارِفٍ نَرْتَضِيهِ
فِي آلِي اللَّهِ غَايَةَ الْأَمْرِ تُحْسَمُ
أَبْذُلُ الرُّوحَ لِلْجَمَالِ فِدَاءً
لَمْ يَضَعْ يَبْعُ مَنْ رَأَى الْآلَ مَغْنَمُ



إِنْ رَفَضِي نَهْجَ الْأُلَى حَارِبُوهُ
نَهْجُ حَقٍّ بِهِ الْفَلَاحُ الْمُحْتَمُّ

أرفضُ البيعةَ التي قرروها
في «سقيف» منه الشريفُ تجهّمُ
إنما البيعةُ التي نرتضيها
بيعةُ رامها النبيُّ المكرمُ
بيعةٌ للذي هداهُ هداهُ
وله منه عروةٌ ليسَ تفصمُ
أحمدُ اللهَ أن سقاني هوأه
مثلَ شهدٍ خليطُهُ ماءُ زمزمُ
كانَ همّي أن ألتقيكِ ولكنُ
حالَ دونَ المرادِ داءُ قدمِ
ربّما خالَجَ الفؤادَ حنينُ
غيرَ أنَّ الذي يُخططُ ألزمُ

حكمةٌ عشتُها وفيها وجودي
ذائبٌ ليس يختشي من تزعمٍ



نبئيني إنَّ الحديثَ طويلٌ
وأنا الطالبُ الَّذي يتعلمُ

هل تُوفىَّ العهدُ... إنَّا خزينا
أم طريقُ السَّكوتِ للحرِّ أسلمٌ!
أيها الناقمون حباً عفيفاً

ليسَ نبغي إلاَّ التعقُّلَ سُلمٌ!
حيثَ يحدو الجميعَ أمرٌ ونهيٌ
بعليُّ وآله الأمرُ قد تمُّ



يا رسولَ السَّماءِ ضاقتُ صدورُ
بعدَ فقدٍ وما خشيناهُ أعظمُ

أسلمتنا ظروفاً لعدو
هو من صانع العداوة أظلم
راح يبغي ديون بدر وأحد
أموي الخطى وحقداً يقدم
وإذا ما تقدم الركب هذي
صاح بعض: أن البناء تهدم
«أحمد» أنت للشريعة نبع
وإليك الوصي رب ومعلم
في «جرا» بذرت غرسك فرداً
ليس إلا الأمين والقلب مفعم
والوليد الذي كفلت صغيراً
يتلون نص الكتاب والسر مبهم
لك نهج به الوجود تغنى
وجمال نحار فيه وننعم

أنت لولاك ضاعَ فينا دليلٌ
أنت نورٌ بهِ البصيرُ تقدّمُ
وإذا الحاسدون ساروا تباعاً
لاح منك الضياءُ فجراً مُنمّماً
حيثُ نهجُ الخلاصِ «مهديُّ» آلِ
ولهُ في الوجودِ رأيٌ ومقَسَمُ
يأخذُ الثأرَ من حوشِ زمانِ
لم يدلُّ فيه غيرُ فكرٍ مُسمّمِ
لعبتُ بالبلادِ أحقادُ جِلْفِ
سارَ بالناسِ عادياً ليسَ يلجمُ
يملاً الحوضَ من دمانا ولكن
غايةَ البعضِ أن يفيضَ ويعظُمُ!

رسموها معاهداً فعلي^ة
كلمة الله في الشدائد: ارحم^م



صارحيني هل البكاء خنوع^ع
أم دموع العزاء شيء ملغم؟!
شيشات نسبتها لـ «تميم»

غير أن المراد «تيم» و«أدلم»
هل جزاء الرسول بعد فراق^ق
أن ضلعا من البتولة يهشم؟!
ثم قود الوصي حاسر رأس^س

بعدهما كان بـ «السحاب» معمم^م
وإلى السبط في ظلام يدمي^ي
وعلى النعش نبلهم يتحطم^م

وبـ«طف» الدماءِ نجلُ عليٍّ
حولهُ زينبُ تطوفُ وتَلطُّمُ
ثمَّ سبيُّ النساءِ مِنْ حِقْدِ «تيم»
إنَّ «تيم» الظَّلامِ خطَّتْ محرَّمُ
أركبوهنَّ فوقَ عَجْفٍ هُزالِ
بعدهما قيِّدوا من البعضِ معصَمُ
وبرجلِ العليلِ قيِّدٌ ثقيلُ
لوراها النبيُّ حُزناً تألَّمُ
كيفَ لا والدماءُ مِنَّا أريقَتُ
أبيضُ الثوبِ غالَهُ أحمرُ الدَّمِ؟!

الإشراقة العاشرة:

الطمود ضربية وعطاء

لإشكّ أنّ المأساة الفاطمية تشكّل العمود
الفقريّ للبيت النبويّ، حيث نظمت من خلالها
تاريخ أمة سرعان ما تنكرت للجميل المزجج من
خلال أروقة هذا البيت الطيب المبارك.
وحادثة الباب واحدة، من القضايا التي
اقيستها معها، لا تحتاج إلى مزيد بيان.
لكن البديهيّ ربما دخل ضمن حدود النظرية
عند البعض منّا، لأسبابٍ سطرّها أربابُ فنّ
المنطق.

« من مجزوء الرجز »

وقفت ذات ليلةٍ أرقبُ ريمًا قد دنا
ناديتها في غبطةٍ: هلاً نزلتِ عندنا
فأومأت بكفها: يا صاح ما أنصفتنا!
فمن تُرى يبغي الهوى وقد عبرت الزمناء
ونيتي في غرّبتني أن أستعيضَ الحزناء
أو أبقى ما دام الدجى ينسج ثوبي كفناء
فالكلُّ يدري من أنا إن رامَ وصلاً أو رنأ
وقد يظنّ بعضكم أن الهوى فرّقنا
كلاً ولكن الهوى بعضُ الذي خامرنا!



فقلتُ: قولي ما الذي للوصل قد يجمعنا
قالت: ولكن بعدما لاحَ المحيّا وانشى:
إنّي أنا العرسُ الذي أمّلتُ فيك السكنا
فهل تُرى من قبله؟! فقلت: عفواً من أنا

فهذا قلبي ثمنٌ إن رمت مني الثمنا
 أو صيريه روضةً فيه نُقضيَ عمرنا
 قالت: ترى تعرفني؟ فقلت: كلا وأنا!
 قالت: ألسن مسلماً للحق أمسى مُدعنا؟!
 فقلت: إنني مؤمنٌ قالت: خرقت السننا
 كم مؤمنٍ نحسبه في الله يرعى حقنا
 لكنه عند اللقاء فرّبعيدا وانثنى!



أقسم بالله الذي بالآل قد شرفنا
 لولاك ما ذقتُ الهوى كأساً يُزيلُ الوسنا
 فارحم إلهي غارقاً في الذنب حتى أثننا!
 مستوثقاً في عهدِهِ بالسقط ميتاً «محسناً»
 رباه واقطع كف من النار قد روعنا!



بابُ «البتول» حُرقت مَنْ ياتُرى أنْجَدنا؟!
 و«المرتضى» في بيته ينظرُ ما حلَّ بنا
 حتَّى أتى العبدُ الَّذي بالسَّوطِ قد لوعنا
 يضربُ بنتاً للهدي كَمُ قَدِّمْتُ مِنْ أَجَلنا
 لكنَّه الوغدُ الَّذي غيَّرَ عمداً نهجنا
 والأمرُ مِنْ سيدهِ شاركَه فيما جنى
 في النَّارِ لَنْ يتركَهُ ساءَ رفيقاً مقرنا
 يصحبهُ في حفرةٍ ليستُ تُغطي النَّنا
 شخصانِ في الجُّبِّ هما ساءا صنيعاً معلنا
 ريباهُ وفق محفلاً ما ضمَّ إلا مؤمنا!
 فأنتَ أدري بالَّذي نطلبُ يا سيِّدنا
 عجلْ خروجَ مُصلِحٍ بالنَّصرِ قد واعدنا



الإشراقة الحادية عشرة:

الطمت القاتل

إذا كان من حق الإنسان أن يتمنّ بمفردات
المجد ففي أمته، فإنه من أكبر الحق أن يتمنّ
بما هو مصدر لذلك المجد.

والسيّدة الزهراء عليها السلام هي مصدر لمجموعة
كبيرة من صور المجد الإسلامي.

وعلى هذا الأساس المكين وجدت أنّي تلمّستُ
المعالم الموصلة إلى ذلك الشريف القائل: «إنّ
فاطمة أمّ أبيها».

خير مؤمن على أساس منه اقترب من حدود
المراد من وقد الجذوة فتمخضت عما هو
المؤمل واحدة من بنيات الفكر المقلّي.

«من الكامل»

الصمتُ يقتلُ مَنْ به وجدانُ
والصدقُ يبعثُ مَنْ به إحسانُ
فالعلمُ نهجٌ والرجالُ حماتُهُ
والجهلُ ذلٌّ جيشُهُ الخِذلانُ
فاسلكِ طريقاً للتعلمِ واضحاً
ما سار ركبٌ والمنى عنوانُ
أطلقِ سراحاً للنفوسِ فإنّها
تُتمى لذاتٍ أصلها الإيمانُ
ما الشاردونَ عن العلومِ بسادةٍ
إن صحَّ حكمٌ أو جرى ميزانُ
تبنى المعاهدُ في البلادِ وأصلها
«فقهٌ أصولٌ منطقٌ وبيانُ»

تُبْنَى العُلُومُ عَلَى الحِوَارِ تَجَدُّدًا
ف«النحو» صرَحُ «صرفه» البِنْيَانُ
يَتَحَلَّقُونَ عَلَى الدَّرُوسِ كَأَنَّهُمْ
أَسْرَابُ طَيْرٍ ضَمَّهْمُ مِيدَانُ
إِنْ يَبْحَثُوا «فَعَلَ المُضِيَّ» حَسَبَتَهُمْ
أَشْلَاءُ «يَخْتِ» هَدَاهُ الطُوفَانُ
أَوْ يَبْحَثُوا «فَعَلَ المِضَارِعَ» خَلَّتَهُمْ
أَرِيَابَ مُلْكٍ فَوْقَهُمْ تَيْجَانُ
هَذَا المِحَافِلُ فِي النِّهَارِ مَعَاهِدُ
وَاللَّيْلِ «دِير» كُلُّهُ رُهْبَانُ



إِنَّ التَّمَرِّدَ فِي النِّفُوسِ سَجِيَّةٌ
فَالرَّأْيَ حَقٌّ وَالرُّؤْيَ بَرَهَانُ

أَوْ هَلْ يَقُودُ الْحَامِلِينَ بِنَهْضَةٍ
شَيْءٌ تَرَاءَى حَوْلَهُ الشَّيْطَانُ؟!
نَاجِي رِوَاكُ الْحَامِلُونَ بِنَصْرِهِمْ
فَالْتَّاحَ بَدْرٌ وَارْتَمَى بِرِكَانُ
هَلَّتْ مِنَ الْعَيْنِ الدَّمُوعُ تَرْحَمًا
فَالْأَمْسُ مُجَدُّ غَالَهُ غَرِبَانُ
تُتْلَى الْمَصَاحِفُ فِي «الْفَوَاتِحِ» رَحْمَةً
وَالْقَلْبُ مَنَّا تَحْتَهُ النِّيرَانُ
نَبْغِي الْوَقِيعَةَ فِي الْأَبَاةِ تَقْرُبًا
فَالْكَذِبُ سَيْفٌ وَالْمُدَى بَهْتَانُ
حَتَّى إِذَا سَقَطَ الشَّرِيفُ مَضْمَخًا
صَحْنَا: تَهَاوَى الْفِكْرُ وَالْعَرْفَانُ
نَشْدُو بِلَحْنِ الْعَارِفِينَ تَمِيمَةً
أَمْسَى يُرَدِّدُ لِحْنَهَا الْعَدْوَانُ

أين التوحّد والخلافُ يقودُنَا
صوبَ التفرّقِ فالهوى ألوانُ
صِرنا مع التقليدِ نهدمُ وحدةً
أرسي بناها واهبُ ديّانُ
صِرنا كما النخل العتيقُ يقيمه
جذرٌ ييسُ موجِلٌ ظمآنُ
بالأمس كانَ الحبُّ محورَ سعينا
واليومَ في ضنكِ المحولِ رهانُ
تَبَّالذاتِ لم تُروضَ نفسها
كيما تُنجي والصرّاطُ أمانُ
هلْ يعمرُ الكونَ الفسيحُ مقامرُ
يبغي خطاه جاهلٌ سكرانُ
خمسون عاماً والأمورُ كما ترى
يستافها بين الهداة جبانُ

خمسون عاماً والتشرذمُ قائمٌ
والرأيُ فوضى والإخا نُكرانُ
حتى إذا أخذ الصباحُ شروقهُ
لاحَ الريحُ وزينَ الميدانُ
وتوردَ الخدُّ الأسيلُ متوجّاً
بالحالِ يزهو فوقه ويصانُ
وتراقصت فوق السطوحِ حمامةُ
بالأمس لُقت حولها القضبانُ
واستمطر الغيثُ الكريمُ عطاءهُ
إذ راحَ ينمو الحبُّ والإيمانُ
وتجمّعت حور السماء فأشرقَتْ
حين اللقاء الأرضُ والأكوانُ



عذراً أهيل الشام أين كرومكم
فالسكّر شكرٌ والغنا شكرانُ
لونٌ من الأدب الرفيع يحفنا
الرأى همسٌ والرجاء إعلانُ
والكلُّ أمسى في البتول مهتئاً
فالعيدُ دينٌ والهدى أديانُ
والكلُّ منّا للبتول يشدهُ
نبضُ الضميرِ وسرهُ الإمكانُ
قسراً يُقاد إلى الخلافة حاسراً
رمزُ الفلاح ويُهجر القرآنُ!
خرجت تجرُّ من المصاب رداًها
فالعينُ عبرى والحشى أشجانُ
قل لي: على ما تُستثارُ مواقفُ
حتى على نهج الرسول ندانُ؟!

نَحْنُ الْأُلَى نَزَلَ الْكِتَابُ بَيْتِنَا
وَالنَّاسُ غُرْقَى فَعَلُهُمْ نَقْصَانُ
صَارَ الْجِزَاءُ مِنَ اللَّئَامِ تَنْكُرًا
مَنْ أَجَلَ هَذَا سَادَتِ الْأَضْغَانُ
كُلٌّ إِلَى نَسَقِ الْقَدِيمِ يَسُوقُهُ
حَقْدٌ دَفِينٌ كُلُّهُ خُسْرَانُ



أَسْرَى بِنَا الْوَحْيِ الْكَرِيمُ فِغَاضِهِمْ
أَنَا عَلَى عَيْنِ الْإِلَهِ نَصَانُ
فَتَجَسَّدَ الْحَقْدُ الدَّفِينُ مَوَاقِفًا
فَالْبَابُ نَهْرٌ وَالِدَّمَا غُدْرَانُ
يَتَرَنَّحُونَ مِنَ الثُّمَالِ كَأَنَّهُمْ
وَاللَّيْلُ دَاجٍ مَعْشَرٌ عَمِيَانُ

لا يهتدي درب الرّشادِ معتقُ
يضحي ويمسي حوله الأوثانُ
حتّى إذا سجد الجميعُ لربِّهمُ
ألفيتَ سماً دونه الأكفانُ
آلى على النفس الجموح أليّةُ
يستافُ أمراً رامه الرحمنُ
ينحلُّ في نغم الخلودِ غناؤها
من كلِّ صوبٍ فالهوى «نيسانُ»
ووقفتَ يا ابن الأكرمينَ مهنتاً
جمعَ الملائك فانتشى «رضوانُ»
فتضاربت فيك العقولُ ملاحماً
الحلمُ ثوبٌ والتقى عنوانُ
تجري الفصاحةُ في اللسان كأنها
من عالم العرشِ الرفيعِ جمانُ

وبنشوة الخمر العتيق ترنحتُ
في كلِّ سعيِّ بيننا الأبدانُ
عهدي بهم حيثُ الكلامُ تجاذبُ
ويحار ووصفاً عندهُ الفنَّانُ
ونرى النجومَ وللنجومِ توهجُ
في شخص «فاطم» قد بدتُ وبيانُ
يأتي إلى الدار الرفيع مكانها
والقلبُ يخفي نبضه الرحمنُ
يلقي السلامَ على الوصيِّ مجاهراً
والصَّحْبُ سمعُ كلُّهم آذانُ
ومضى النبيُّ إلى المقامِ يقودهُ
حبُّ البتولِ فحبُّها فرقانُ
العرشُ كبرمذُ تراءى وجهها
وتهلَّلت بشرأ لها الأكوانُ

وانقضَّ يَطْلُبُ في الهداة وقيعةً
علجٌ لئيمٌ طبعهُ الإِيمانُ
فأثارَ فِكْرَكَ في الرَّبوعِ مُعانداً
يُضحِي ويمسي حوله الغلمانُ
لاحتُ به حيثُ الأميرُ يقودهُ
كيما يبايعُ في الملا تُعبانُ
جناتُ عدنٍ يا بتولُ تجلبيتُ
حزناً فسادَ الصمتُ والأحزانُ!
حتى إذا خرج الإمامُ بنهضةٍ
غنى «الهزار» ورددَ النشوانُ

الإشراقة الثانية عشرة:

عندما تتكلم الجراح

كانت الزهراء عليها السلام ومنذ اليوم الأول مصدر إلهام المبدعين.

وكيف لا تكون كذلك وهي حرارة الإلهوت في دنيا الخلق؟!

إنها من أبيها كنعته ونفسه مصدر الكمال في عالم الكثرة والتوحد ومن كان سيّد الأنبياء أباهما، فمن الحرّي بها أن تكون كذلك.

قصيدتي هذه جاءت في واحدة من فواصل الحياة التي لم يهتد فيها أصحاب القلم مسارهم، وكدت أن أكون كذلك لولا الإشعاع المتوهّج من عالم الفيض الفاطمي الذي أجدني أسبر بعض إشراقاته فسرت فيه متلمّساً معالم الطريق عبر الأحرف والكلمات.

«من البسيط»

يا بسمه العمرِ يا حُلمَ الملايينِ
يا حلقةَ الوصلِ يا دنيا إلى دينِ
يا بنت طه أموري كلّها هدر
من ذا سواك من البلوى ينجيني
مددتُ كَفِّي خجولاً أبتغي طلبِي
هيهات حين سؤالي لا تراعيني
لن أترع الحبَّ من قلبي وأنتِ لهُ
لحن الخلود وحبُّ الآل يكفيني



وقفتُ رُغمَ حداة الرّكب تحدوني
أشكو الربيعَ خجولاً بعد تشرينِ
أسائل الرّسمَ والأطفال عن لُعبِ
كانت لنا حُلماً من دونِ تلوينِ

فكم أحبنا عروس الروض في سذج
وخصلة الشعر تدليك وتدني
والكل من حولنا قد أظرقوا خجلاً
عفو الطفولة لا عشقُ الثلاثينِ
قاسٍ هو الحبُّ ما انفكت لواعجُهُ
مظاهر الصّمتِ في دفن البراكينِ
حتّى إذا عرّبد الشيطان منفرداً
ألغيت قلباً حوى نذغ الثعابينِ
إن التعرّب بعد الوصل يأسرني
حتّى إذا حضرت أمست تجاريني



يا شمعةَ الحفل والأنوار ساطعةُ
بات الربيع على الذّكرى يُمنيّني

قدّستُ نهجاً أصاب القلبَ شارِقُهُ

فالقلب من نوره بالّطف يهديني

يا من وليتم أمور الناس في زمنٍ

كان السّواد به في كفٍّ ملسونٍ

لكنّها الوقفة الكبرى أريد لها

ردّ الحقوق التي كانت يببرينِ

قد بارك الله سعياً رام فاعلُهُ

رغم الطغاة العلاء في يوم صقّينِ



قالوا أترضى بما يجري مغالبةً

قلت الذي قد جرى في الدار يكفيني

من ينكر الأمر لا طالت سلامتهُ

من ينكر الأمر في ركب الشياطينِ

من يبرئ السّاحة الغرقى معاندةً
حاطت به زمرةٌ في قعر سجينِ



إنّ البتولَ جراحٌ دامَ نازفها
حتّى غدت مصدرًا في كلِّ مرسونِ
إنّ الهموم التي طالبت نوازعها
لم تقتصر خردًا في يوم صفينِ
أبلى مواقفنا الواشون في زمنِ
الرأي في وضعه صفرٌ لمليونِ
مدينة غير السّمّار واقعها
وهي التي خُطّطت من عهد هارونِ
مسيرة الدم أشلاءً مقطّعةً
كلُّ الرّؤى سطرت من غير تأمينِ

كرامة الفكر أن تبنى قواعده
الأصل في وضعها هوناً على هونٍ



حديثُ باقرنا نصَّ الكتاب أتى
في وصفه واضحاً من دون تخمينٍ
سبحان من خصَّ الأَطهار قربهم

فهم إلى عرشه كاف إلى نونٍ
هم سيروا دورة الأكوان مبتدأً
فراح من بعدهم يسعى كذي النونِ
إنَّ القديم الذي سادت معالمه

عادت به نهضةٌ خيئاً لمغبونٍ
ما غيبتني عن الأحداث صارخةً

كلاً ولا أسلمت صبحي لمدجونٍ



أمسيتُ أعشقُ كلَّ الناسِ مُقتبساً
من نهجِ «فاطم» أسرارِ تفديني
سلني عن الصبرِ يا من جئتُ تسألني
عندي جواب لمن أمسى يوافيني
حرية الرأي ما عادت لها قيم
حتى الذي رأيه فوق التمارينِ
أقارب عشتهم في السلم معترك
في الحرب غاشيةٌ سيقت لمحزون
يا مظهر اللطف يا زهراء معذرةً
إن كان نظمي أتى في موقع اللينِ
إنني أنا الشاعر المجنون جتته
حبُّ الهدى والتقى من آل ياسينِ
مسكين هذا الفتى شابت ذوائبه
والناس في حربيه في ثوب «سرجون»

متى يُقال عن الزهراء قيل لهم
أمُّ الهدى حالها يسمو على الطين
هي البتول وسرَّ الله حافظهم
من كل عادية في ركب مجنون
أين الذين أتوا للدار يقدمهم
ذاك الذي سعيه الإيقاع بالدين
طافت به حبة أردته قارعة
ساقته لائحةً دفعاً بلالين
هل سودوا متنها بالسوطِ في وضح
هل جمروا عينها اليمنى أفيدوني
والله رب السما العليا مواقعها
لولا الذي جرى ما حلَّ بالدون
الحمد للمصطفى من بعد خالقه
ثم الذين أتوا نصاً بتعيين

خاتمة المطاف

عندما أضع كلمات الخاتمة ، فإنني لا أجد نفسي
ملزماً في أن أنتقي روائع الكلمات المنمقة.
كيف والغرض من هذه المحاولة المتواضعة قد بات
واضح الصورة بين الملامح.
إذاً ليس بيدي الآن إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان
لأولئك الأحبة الذين وقفوا معي وقدموا الكثير.
اللهم بحق البتول اجعل هذا في موازين أعمالنا .

أبو عدنان

السيد محمد رضا السلطان

١٤٢٢هـ

الفهرس العام

٧	الإهداء
٩	مقدمة خاطفة
١٣	مقدمة السيد محمد علي السلطان
٢٣	ترنمة العشق الفاطمي
٣٣	همسات مع الشمس
٤١	صرخة الجنين
٤٩	غناء بلا حياء
٥٩	تسيحة الصمت
٦٩	الزهراء <small>عليها السلام</small> «عروس الكبرياء»
٧٩	تراتيل في السحر
٩١	حديث الجراح
٩٩	وهج الشاعر
١٠٩	الصمود ضريبة وعطاء
١١٣	الصمت القاتل
١٢٥	عندما تتكلم الجراح
١٣٣	خاتمة المطاف